السرد القصصي للحيوان في سفر التكوين

د. حسين عامر حسين أ. م. د. أفراح علي عثمان

المديرية العامة لتربية الرصافة/ الاولى جامعة بغداد / كلية اللغات شعبة التقويم اللغوي

Hussien.ah10@gmail.com

الملخص:

تحدث البحث عن نعمة الله تعالى على الإنسان وهو (الحيوان)، فقد ارتبطت حياة الإنسان بالحيوان ارتباطاً وثيقاً، فلابد من وجود الحيوان في حياة الإنسان لفوائده الجمة له، لكننا هنا لم نتحدث عن تلك الفوائد بل ذكرنا في بحثنا هذا القصص التي دارت حول كل حيوان ذكر في بحثنا، سواء كانت الحية أو الغراب والحمامة أو الماعز والأبقار وغيرها التي عرضنا قصصها مفصلة في البحث لنتوصل في النهاية إلى أبرز الحيوانات في سفر التكوين هي (الحية) ذلك الحيوان الذي لعب دوراً في قلب نظام الإنسان، وكذلك الغراب والحمامة اللذان لعبا دوراً بارزاً في مساعدة نوح التوراتي، أما البقر فقد كان من أعظم نعم الله عليهم، ودخلت في قصص عدة في التوراة. وكل تلك القصص التي ذكرت في البحث تحدثت عن الجانب العقائدي والتشريعي والاجتماعي، فكل تلك الحيوانات كان لها دوراً في رسم تلك العقيدة.

الكلمات المفتاحية: **(السرد القصصي، الحيوان، سفر التكوين).**

The storytelling of the animal in Genesis

dr.. Hussein Amer Hussein

University of Baghdad/College of General Directorate of Education

dr.'afrah ali euthman

Languages, Linguistic Evaluation Division

Rusafa / First

Abstract :

The research talked about the blessing of God Almighty upon man, which is (the animal), the life of man and the animal is closely linked, so there must be an animal in man's life for its great benefits to him, but here we did not talk about those benefits, but we mentioned in our research this stories that revolved around each animal It was mentioned in our research,

whether it was a serpent, a crow, a dove, a goat, a cow, and others, whose stories we presented are detailed in the research, to finally reach the most prominent animals in the Book of Genesis. In helping the biblical Noah, as for the cows, they were among the greatest blessings of God upon them, and they entered into several stories in the Torah. And all those stories that were mentioned in the research talked about the ideological, legislative and social aspect. All of these animals had a role in formulating that belief.
Keywords: (storytelling, animal, Genesis) .

المقدمة :

قبل أن يخلق الله تعالى الإنسان، هيأ له كل مستلزمات العيش، ووفر له السبل للوصول إليها، ومن النعم التي خلقها الله تعالى للإنسان الحيوان، فارتبطت حياة الإنسان بالحيوان دائماً في حله وترحاله، بل هو سبب رئيس لوجوده في الحياة استفاد منه الأكل والشرب والتنقل، وتتحدث التوراة عن خلق الحيوان، فقد خلقه الرب في اليوم السادس من أيام الخلق.

ويدور البحث على قصص الحيوان في التوراة، فكل حيوان ورد في التوراة ارتبط بقصة ما، وليس هدف الدراسة التعرف على الحيوان، بل القصص التي ارتبطت بظهور ذلك الحيوان، فكل حيوان ذكر هنا درات حوله أو كان محور لقصة ما في التوراة، وقد عرضنا القصص التي ارتبطت بذكر تلك الحيوانات، فمنها ما أخرج أبوينا من الجنة وغير مصير الجنس البشري، ومنها ما كانت دليلاً لنوح (عليه السلام)، ومنها ما كان غذاءً لضيوف إبراهيم (عليه السلام)، ومنها ما استعمل للخداع، ومنها ما بني على معتقد وغيرها، لذا فقد قسم البحث على مباحث عدة، تضمن كل مبحث الحديث عن حيوان ما، أو قصة ذلك الحيوان في التوراة، وأول هذه الحيوانات هي الحية، فقد لعبت دوراً بارزاً في تغيير مسار حياة الإنسان، ودار في المبحث الثاني الحديث عن الحمامة والغراب ودورهما في قصص التوراة، ثم المبحث الثالث كان للحديث عن دور أو عن قصص الماعز والأغنام.

أما المبحث الرابع فتحدث عن الأبقار ودورها في التجسيد والتشخيص من خلال الأكل، ثم أخيراً الحديث في المبحث الأخير عن الحمير والجمال، لينتهي البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث ثم قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

الحية :

في العبرية (نحش) فهي و(الحنش) في العربية من أصل واحد قلبت فيه بعض الأحرف (وليم مارش، ١٩٧٣م: ٣٨).

هي الحيوان الأول التي تكلم عنها توراة موسى، وقد لعبت تلك المخلوقة الدور الأبرز في نقل حياة البشرية من حال إلى حال، ومن دار إلى دار، فقد أغوت أول مخلوقين من الجنس البشري (آدم وحواء).

فجاء في النص التوراتي: ((**وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: « مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا** »)) (سفر التكوين: ٣: ١-٣).

فبعد أن خلق الله الإنسان من ذكر وأنثى، أسكنهم جنة عدن (سفر التكوين ٢ : ٥)، وخلق لهم كل شيء، إلا أنه منعهم من الاقتراب من (شجرة) (سفر التكوين ٢ : ١٠) (رؤيا حنا ٢ : ٧ ، ٢٢ : ٢) بعينها، فوجدت الحية مدخلاً، هنا بدأ العداء للإنسان، وأن كتاب التوراة لم يتحدث عن هذه المقدمات، فنجده ينقلنا إلى أحداث ووقائع لم يعهد لها، وهذا دفعنا إلى وضع فرضيات ومقدمات، كي نستطيع ربط هذه الحلقة المفقودة، وفي مقدمتها، أن هذا الحيوان كان حاضراً، أو سمع ذلك من (آدم).

وإن تتبعنا أسلوب الحوار الذي دار بين (الحية) و(المرأة) نجد هذا الحيوان قد امتلك أسلوب حوار مقنع، ولعله يحمل الشيء الكثير من المصداقية إن لم يكن جميعها، وهذا نلمسه من سياق النصب الذي جاء فيه قول الرب: ((**وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ»**)) (سفر التكوين: ٣ : ٢٢)، وهو نفس قول الحية الذي أخبرت به المرأة فقالت: ((**بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ**)) (سفر التكوين: ٣ : ٥).

فكان هذا الحيوان الذي وصف بـ (أحيل)، وفي العبرانية (عروم)؛ أي المؤذي أو الأوفر مكراً وخداعاً، كما تأتي بمعنى أذكى وأدهى (السنن القويم: ٣٨)، وعلى هذا جرت الترجمة السبعينية (الكتاب المقدس، ١٩٩٣م: ص٣).

ونحن نرى أن جميع تلك الأوصاف اجتمعت في هذا المخلوق الذي استخدم الذكاء والدهاء والمكر والخداع كي يؤذي (المرأة) و(آدم). وهنا لا نلمس أي دهشة (للمرأة) حين تكلمت صاحبة المكر والخداع (الحية) معها، مما يدل على مرور وقت طويل على حياتهما في الفردوس حتى عرفا بعضهما البعض.

وبعد هذا الحوار والمصداقية التي أظهرتها (الحية) لـ (المرأة)، وبعد أن نجحت في إغوائهما، وعصيان أوامر الرب عاقبها الله على فعلتها عقاباً شديداً، ولعله العقاب الأقسى، فقال الرب لها: ((**فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: « لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ »**)) (سفر التكوين: ٣ : ١٤-١٥).

ولعل للمتأمل هنا تساؤلات عدة :

أولها: هل كانت الحية حقيقية، استخدمها الشيطان (سفر المزامير ١٠٩ : ٦)، أم أنها الشيطان نفسه ظهر بصورة (حية)؟ وهل تكلمت، أم كان كلامها مجازاً وتمثيلاً ؟ وهذا ما لم يُجب عنه مفسرو الكتاب المقدس، لا بل تركوا الإجابة، بحجة « إن ترك الجواب هنا خير من إتيانه؛ لأن الإجابة لا تدل على اليقين، وإنما ينبغي الاقتصار على معرفة المقصود من النبأ » (السنن القويم: ٣٨.)، ونحن نرى أن هذا النص أشكل على هؤلاء وكان ذلك سبباً للهروب منه.

ثانياً: لماذا لم يأكل هذا المخلوق الذي وصف بأنه : « أحيل جميع الحيوانات » من تلك الشجرة، ولعله قد سبقهم بالوجود، وإلا كيف عرفت بخاصية تلك الشجرة، وإن قد افترضنا ذلك، فهنا نصطدم بسؤال آخر، إن كانت أكلت من تلك الشجرة، فلماذا جهلت نوع عقابها، وهل كانت هذه الشجرة محرمة على الجميع، أي هل كان الرب قد حرمها على من قبل آدم وحواء أم هي قد حرمت عليهما فقط ، أو أنها قد تكون أنها علمت بذلك، غير أن حقدها الذي لا مبرر له، قد أعمى بصيرتها.

فكان هذا الحيوان سبباً في خروج أبوينا من الجنة، وسحب تلك الامتيازات الخاصة التي كانا يتمتعان بها، والمتمثلة بالحفظ من الشهوة، والجهل، والألم، والمرض، كما لم يكن للموت سلطة عليهما (إسكندر الجديد، ١٩٩٤م: ٨٢).

وحين سأل الإله عن سبب قيام أبوينا الأكل من الشجرة. كان جواب (المرأة): ((« **الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ** »)) (سفر التكوين ٣ : ١٣)، فهو يتضمن الاعتراف بالخطأ، بسبب أنها تعدت وصية الإله. ونتيجة لهذه الحادثة كانت عقوبة هذه المخلوقة بما يأتي:-

أ. قول الرب: ((« **لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ.**)) (سفر التكوين ٣ : ١٤).

فإن المتأمل في هذه الآية (حبيب جرجيس، د. ت : ١٤)، يتخيل أن هذا الحيوان كان مستوي القامة، وكان داجن عند (آدم) في بيته، غير أن مفسري التوراة، يتحدثون عن تلك العقوبة، هذا بيان لما وصل إليه الشيطان من حال إلى حال الذل والانحطاط والقبح، بعد بديع الجمال، وأنه لازال يغوي الآدميين، ويضرهم مع ما صار إليه من الخزي وسوء المنقلب (حبيب جرجيس، د. ت : ١٤).

غير أن تلك التفسيرات أجدها قد دخلت في دائرة المتشابه بعد أن كانت في نطاق الخفاء، أي أن التفسيرات زادت من غموضها أكثر مما كانت عليه، فإن النص يتحدث عن (الحية) والتفسير يتحدث عن (شيطان).

وأما عن أكلها للتراب، فيقال هو كناية عن الخيبة والدناءة.

ب. قول الرب الإله: ((**وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ** »)) (السنن القويم: ٤).

فكان هذا الجزء الثاني من العقوبة، والتي نراها لا تخرج عن طبيعتها المادية.

وقد شكلت هذه القصة المعتقد الأول من معتقدات الديانة المسيحية والمتمثلة بـ (الخطيئة الأصلية) (سفر التكوين: ٣ : ١٥)، ويتخلص هذا المعتقد أن للتحرير من هذه الخطيئة التي ورثها الجنس البشري كان لابد من مخلص يفتدي هذا الجنس، فإن ابن الإله تجسد وصلب وقام من أجل الخلاص التي لحقت بالإنسان لعصيان آدم، فخطيئة آدم وتجسد ابن الله والصلب والقيامة جميعها أسس وركائز لهذه العقيدة (أحمد علي عجيبة، ٢٠٠٥: ٥٢٩).

فكان لهذا الحيوان الدور الأكبر في بناء المرتكز الأول لهذه العقيدة، والتي لا نعرف أكان هو بطلاً لأحداثها أم الشيطان.

وقد ذكرت الحية في مواضع آخر من أسفار موسى وكانت أداة لإظهار معجزة هارون أمام فرعون ((**وَكَانَ مُوسَى ابْنَ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَهَارُونُ ابْنَ ثَلاَثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً حِينَ كَلَّمَا فِرْعَوْنَ. وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: «إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلًا: هَاتِيَا عَجِيبَةً، تَقُولُ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَاطْرَحْهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَصِيرَ ثُعْبَانًا». فَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفَعَلاَ هكَذَا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. طَرَحَ هَارُونُ عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عَبِيدِهِ فَصَارَتْ ثُعْبَانًا.**)) (سفر الخروج ٧ : ٧-١٠).

المبحث الثاني

الغراب والحمامة :

الغراب: من الطيور الشائعة في كثير من أصقاع العالم، وإن أشكاله وفصائله وأنواعه متعددة، وإن غلب عليه اللون الأسود، وهو يتميز بقبح صورته، ويعد من لئام الطير (الجاحظ ، ١٤٢٤هـ : ٤١٧)، ومع أنه قوي النظر لا يتعاطى الصيد؛ لذا هو ليس بسبع لعجزه عن الصيد، فقد تشاءم الناس من صورته فقيل: « هو غراب أسود ينوح نوح الحزين المصاب، وينعق بين الخلان والأحباب » (حياة الحيوان ٢ : ٢٣٨). ويمتاز بأكل الجيف والحيوانات الصغيرة والحشرات.

الحمامة: طائر يألفه الناس وهو يتشابه معهم فيحزن للفراق ويفرح للقاء، لذا عرف الأدب العربي في نطاق الشعر بخاصة من الطيور الحمام، وعنى بوصفه في قصائد شعرية كثيرة كالتي تبين علاقته بالإنسان.

هي الحيوان الذي استعان به نوح لمعرفة حال الأرض، بعد أن استقرت سفينته على جبل آراراط (أسماء المواضع الجغرافية في التوراة ٧ : ٢١-٢٢).

فبعد أن انحسر الطوفان، وبدأت رؤوس الجبال بالظهور، قام نوح بإرسال الغراب أولاً، فجاء في سفر التكوين: « **وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ** » (سفر التكوين ٨ : ٧).

فكان الهدف من ذلك الخروج ليعلم مدى جفاف الأرض، غير أن ذلك الطائر بقى يتردد ذهاباً إياباً ولم يدخل السفينة؛ لذا فإن نوح لم يمد له يده ويدخله داخل السفينة، لأنه رأى فيه تفضيله أكل الجيف الطافية عن الحياة التي كانت داخل السفينة.

ولعل سائلاً يسأل: لماذا بعث نوح هذا الطائر دون غيره، وكان يستطيع أن يفتح النافذة وينظر بعينه، فهو كان على أعلى قمة في المعمورة كما تقول التوراة (سفر التكوين ٨ : ٥). فضلاً عن استخدامه أحد الحيوانات النجسة (سفر التثنية ١٤ : ١٥).

وبعد عرضنا لدور الطائر الأول الذي استخدمه (نوح) لمعرفة ما وصل إليه حال الأرض، إلا أن البحث لم يجد له أي دور في تغيير مسار الحال الذي كان عليه (نوح)، بل على العكس تخلى عنه بعد أن ذهب ولم يعد.

فجاء هنا دور لحيوان آخر هو (الحمامة) التي بعثها (نوح) بعد تمرد الغراب، ولعله أدرك أنه بعث أي طائر يقتات على (الجيف) فإنه لا يسعفه بشيء ، ويكون حاله كحال سابقه، لذا بعث هذا الحيوان الذي لا يقتات إلا على النباتات، ومن عاداتها ألا تبتعد كثيراً عن مجتمعها، إلا إذا كانت مع عدد وافر من نوعها.

فقد بعثها (نوح) ثلاث مرات، فجاء في النص: ((**ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ**

الأَرْضِ. فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَيْضًا.)) (سفر التكوين ٨ : ٨-١٢).

فإن الحمامة في المرة الأولى لم تجد لنفسها مستقراً؛ لذا عادت إلى السفينة حتى أنه مد يده ليدخلها إلى داخل الفلك. وبعد مضي سبعة أيام أخر أرسلها، فعادت تحمل أغصان الزيتون، وكان هذا إعلان لظهور الحياة، وهنا نقف نسأل كُتاب التوراة من أين جاءت بهذا الغصن والأرض لم تجف بعد ؟ لا بل مازالت تغمرها المياه التي استمرت عام كامل (سفر التكوين ٨ : ١٣-١٤).

وفي المرة الثالثة خرجت الحمامة ولم تعد، وهنا علم نوح أن الأرض جفت، فهنا (الحمامة) لم تختلف عن ما فعله الغراب حين وجد مستقراً له خرج ولم يعد. فخروج وعودة الحمامة كان سببه عدم وجود مقومات العيش الغريزية.

إذاً نلاحظ في هذا النص إعطاء الحمامة هالة من التفضيل، ليتقبل مؤمنو الكتاب المقدس فكرة نجاسة الحيوان الأول، وطهارة الحيوان الثاني (سفر التثنية ١٤ : ٣-٢١). فيما بعد حين يتم التكليف بالامتناع عن أكل الحيوانات النجسة؛ ولعل هذا النص دفع كُتاب الإنجيل (بطرس حداد، د. ت : ٧٠) (شروح الكتاب المقدس: ٤١٠)، بتصوير روح قدسهم جاء كحمامة من السماء (إنجيل متى ٣ : ١٧). وتشبيهها بحمامة نوح التوراتي التي بشرت ببزوغ حياة جديدة.

ويحكى أنها استجعلت عليه الطوق الذي في عنقها، وعند ذلك أعطاها الله تعالى إليه ومعها من الكرم ما معها، وفي رجليها من الطين والحمأة ما برجليها، فعوضت من ذلك الطين خضاب الرجلين ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق (الحيوان ٣ : ٨٥).

المبحث الثالث

الماعز والأغنام :

حيوانان متقاربان في طريقة العيش والرعي، كانا من أكثر الحيوانات بروزاً في قصص التوراة، لارتباطهما المباشر بحياة الناس ومكانتها الاجتماعية، كون الرعي مهنتهم الأساس، فكان ظهورهما مصاحباً لقصص سفر التكوين في مواضع عدة هي:-

أ- **في قصة إبناء آدم:** فجاء في التوراة : ((**وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ**)) (سفر التكوين ٤ : ٢) وهابيل هو الابن الثاني لآدم وحواء وهو رابع البشر على الأرض، واسمه يعني، نفس أو بخار أو زوال (السنن القويم: ٤٣) (مكرم مشرفي، ٢٠٠٠م: ١٩٨).

وكان عمل هذا الابن هو الرعي، ولعل القارئ يستغرب من تلك المهنة، وتحديداً في ذلك الوقت لاسيما أن علمنا أن أكل لحوم هذه الحيوانات لم تشرع إلا بعد الطوفان، فقد جاء في الإصحاح التاسع قول الرب: ((**كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. كَالْعُشْبِ الأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمُ الْجَمِيعَ. غَيْرَ أَنَّ لَحْمًا بِحَيَاتِهِ، دَمِهِ، لاَ تَأْكُلُوهُ.**)) (سفر التكوين ٩ : ٣-٤). أليس هذا تناقض بين ما صنعه أول شهيد للبر والإيمان (إنجيل متى ٢٣ : ٣٥) (هابيل) وبين ما شرعه (يهوه) لنوح، لاسيما أن علمنا أن اسمه قد اشتق من كلمة (يابال) بمعنى (راع))؛ أي أن اسمه مشتق من دلالة ما امتهنه.

ويمكننا الجمع والتوفيق بين النصين السابقين والعمل بهما معاً، فلعل أكل اللحوم شرع أولاً ثم جاء التأكيد عليه بعد الطوفان، غير أنه قيد بشروط ومنها الدم.

كما أن النص يوحي لنا وكأن تلك المهنة – الرعي- هي الأقرب إلى إرضاء (يهوه) (سفر التكوين ٤ : ٥)، أو أن صاحبها يكون أقرب للرب، كونه في ترحال دائم ولا ضامن له إلا الله.

ويرى البحث أن فكرة قرب صاحب هذه المهنة إلى الرب قد تولدت من قصة تقبل تقدمه (هابيل) الراعي ولم يتقبل تقدمة أخيه المزارع، فالرب نظر إلى تقدمة (هابيل) غير أن هناك من ذهب إلى القول: أن قبول التقدمة كان راجعاً إلى نوع القربان والحالة القلبية التي عليها الإنسان فإن الرب ينظر إلى القلب (صموئيل الأول ١٦ : ٧).

ب- افتراق الأب الأول إبرام (منيس عبدالنور، د. ت: ٤) (سفر التكوين ١٧ : ٦) التوراتي عن ابن أخيه :

بعد أن اصطحب إبرام ابن أخيه « لوط بن هاران بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام » (سفر التكوين ١١ : ١٠-٢٦).

معه إلى كنعان ومن ثم إلى مصر التي شهد فيها على عفة عمه (إبرام) التوراتي حين قدم العم زوجته (ساراي) (سفر التكوين ١٧ : ١٥) إلى فرعون كزوجة أكسبته بعض الثروة التي تقاسماها بعد طردهما من قبل فرعون؛ لأنه كان أكثر شرفاً وعفة منهما بعد أن علم أن (ساراي) هي زوجة (إبرام) وليست أخته (سفر التكوين ١٢ : ١٠-٢٠).

غير أن تلك الثروة والمتمثلة بالأغنام والمواشي، بعد أن تقاسماها كانت سبباً للفراق بينهما؛ لأن المراعي لم تعد تسع أغنامهما، فتشاجر عبيدهما على المراعي، ولعل تلك كانت بداية اللعنة التي جاءت مع الثروة بسبب مصدرها؛ لذا لجأ لوط إلى أرض وادي الأردن باتجاه (صوغر) (سفر التكوين ١٣ : ٥-١٣).

فالمتأمل في هذه النصوص، يرى أن سبب طرد العم ابن أخيه كان للاستئثار بالأرض.

ج- الفداء لابن إبراهيم:

تتحدث توراة اليهود عن الابن الذبيح (أسحق)، فبعد أن وهب الله للأب الأول ابنين هما إسماعيل وإسحاق، امتحنه بتقديم ابنه إسحاق ذبيحة للرب فقال له الرب: ((**فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا (أخبار أيام الثاني ٣ : ١)، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ».**)) (سفر التكوين ٢٢ : ٢).

ومع ذلك لم نرَ إبراهيم يتردد في أن يقوم بما أمره الله ، وحين قام بالامتثال لقول الرب وما أمره به جاء نداء الرب: ((**فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي». فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ.**)) (سفر التكوين ٢٢ : ١٢-١٣).

فكان هذا الحيوان فداء لأحد آباء العهد القديم، ولو فعل إبراهيم ذلك لكان أسس لشريعة ذبح الإبكار.

غير أن المتأمل بالنصوص السابقة يقف على قول الرب: « ابنك وحيدك » ، وأن إسحاق لم يكن الابن الوحيد بل كان له إسماعيل أيضاً؛ وهذا يدفع الباحث أن يقول أما أن تكون كلمة (وحيدك) هي من إضافات كُتاب التوراة، وكان هدفها إخراج إسماعيل من ميراث الأنبياء، ومن دائرة الآباء، أو أن النص كان يشير إلى الابن الوحيد (إسماعيل) أصلاً، فهو من ينطبق عليه ذلك قبل ولادة إسحاق، وقد استبدل الكُتاب اسمه ليعطوا صفة القداسة لإسحاق.

د- تذبح لعقد العهد :

وهذا نقرأه عندما طلب (ابيمالك) (صموئيل الأول ٢١ : ١٠) (السنن القويم : ١١٠) من إبراهيم أن لا يغدر به ولا بذريته ونسله، وأن يبادله المعروف بمعروف، وذلك بعد أن رأى أن الرب مع إبراهيم في كل ما يعمله.

ووافق إبراهيم على هذا الطلب، وقد (حلف) على ذلك، غير أن إبراهيم عاتب (ابيمالك) كون عبيده قد اغتصبوا منه بئراً، فقال أبيمالك: ((**فَقَالَ أَبِيمَالِكُ: «لَمْ أَعْلَمْ مَنْ فَعَلَ هذَا الأَمْرَ. أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْنِي، وَلاَ أَنَا سَمِعْتُ سِوَى الْيَوْمِ»**)) **(سفر التكوين ٢١ : ٢٦).**

وحينها قام إبراهيم: ((**وَأَقَامَ إِبْرَاهِيمُ سَبْعَ نِعَاجٍ مِنَ الْغَنَمِ وَحْدَهَا. فَقَالَ أَبِيمَالِكُ لإِبْرَاهِيمَ: «مَا هِيَ هذِهِ السَّبْعُ النِّعَاجِ الَّتِي أَقَمْتَهَا وَحْدَهَا؟» فَقَالَ: «إِنَّكَ سَبْعَ نِعَاجٍ تَأْخُذُ مِنْ يَدِي، لِكَيْ تَكُونَ لِي شَهَادَةً بِأَنِّي حَفَرْتُ هذِهِ الْبِئْرَ». لِذلِكَ دَعَا ذلِكَ الْمَوْضِعَ «بِئْرَ سَبْعٍ»، لأَنَّهُمَا هُنَاكَ حَلَفَا كِلاَهُمَا.**)) **(سفر التكوين ٢١ : ٢٨-٣١).**

فنجد أن هذا الحيوان كان وسيلة للشهادة والعهد والميثاق. غير أن ما يستوقفنا هو أنه أول (قسم) (معاهدة) في توراة موسى، ولعل هذا النوع لم يكن معهود من قبل، وهذا ما نلمسه من قول (ابيمالك): ((**مَا هِيَ هذِهِ السَّبْعُ النِّعَاجِ**)) وأما عن العدد (سبعة) بالتحديد فلربما لأنه يرمز إلى عدد الكمال.

هـ- ثمن سرق البكورية :

بعد أن شاخ إسحاق التوراتي طلب من ابنه البكر (عيسو) أن يصطاد له صيداً، ويهيئ له طعاماً لكي يباركه ويمنحه البكورية (سفر التكوين ٢٧ : ١-٤).

وهنا جاء دور السيدة (رفقة) زوجة إسحاق وأم كل من (عيسو ويعقوب) غير أنها كانت تفضل (يعقوب) على أخيه (عيسو) الذي سبقه بالولادة لبضع دقائق، لأنهم

كانوا توأم؛ إلا أن التوراة لم تفصح عن سبب ذلك التفضيل، كما أننا لم نجد مبرر لذلك، ولاسيما إن قارنا بينهما.

فقامت (رفقة) مستغلة ضعف بصر (إسحاق) وشيخوخته متآمرة مع ابنها (يعقوب) لينتحل صفة (عيسو)، فقالت له رفقة: ((**وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَلمتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا قَائِلَةً: «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَبَاكَ يُكَلِّمُ عِيسُوَ أَخَاكَ قَائِلًا: انْتِنِي بِصَيْدٍ وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً لآكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ وَفَاتِي. فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا آمُرُكَ بِهِ: اِذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدْيَيْنِ جَيِّدَيْنِ مِنَ الْمِعْزَى، فَأَصْنَعَهُمَا أَطْعِمَةً لأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ، فَتُحْضِرَهَا إِلَى أَبِيكَ لِيَأْكُلَ حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ».**)) (**سفر التكوين ٢٧ : ٦-١٠**).

فبعيداً عن الإسقاطات التي تواجه هذا النص والقبول به، وهو يصور الأب إسحاق بالإنسان الشره وهمه أن يشبع ولا يستطيع أن يميز بين أبناءه، فضلاً عن زوجه وابن أقل ما يوصفون به هو المكر والخداع، أو قد يكون ذلك للمباركة وليس طمعاً أو شره، نجد أن (الجدي) كان سبباً في تغيير مسار البركة وهي (النبوة) إن صح التعبير أن نطلق عليها وانتقالها من شخص لآخر؛ أي أنها كانت تمنح من الأب إلى الابن، ولم تكن تنصيب رباني إلهي.

وما يستوقفنا أن مسار (البكورية) خط بتدارك بأيد كتاب التوراة، وبعد أن كبر ابنه الصغير لم يفِ يهوذا بوعده؛ لأن وفاة أبناءه دفعه إلى التشاؤم منها، فما كان منها إلا أن تجلس على طريق مروره وهو ذاهب إلى جزار غنمه، فخلعت ثياب ترملها وتغطت بالبرقع وتسترت وجلست على طريقه، وقد فعلت ذلك لأنها رأت أن (شيلة) ابن يهوذا كبر ولم يتزوجها: ((**فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا. فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ: «هَاتِي أَدْخُلْ عَلَيْكِ». لأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَنَّتُهُ. فَقَالَتْ:**

«مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ؟» فَقَالَ: «إِنِّي أُرْسِلُ جَدْيَ مِعْزَى مِنَ الْغَنَمِ».)) (سفر التكوين ٣٨ : ١٥-١٧).

وقد حسبها يهوذا أنها واحدة من الزانيات اللاتي كن ينذرن أنفسهن للزنى لأجل الآلهة ولاسيما الإله (عشترون) فكانت من العادات الوثنية الشائعة، وكانت تلك الزانيات ينظر إليها الناس باحترام.

غير أن ذلك لم يعفها من إقامة الحد عليها حسب الشريعة التوراتية، غير أن يهوذا عفى عنها من أن تحرق وكانت هذه عقوبة الزانية؛ لأنه علم أن قصدها هو إقامة النسل.

وما يستوقفنا هو أن هذه السيدة الزانية، كانت جدة للسيد المسيح كما يدعي كتاب الحياة (الإنجيل) (إنجيل متى ١ : ١-١٦).

منذ أبناء آدم إلى بكر إسحاق التوراتي، فقد رسموا لهم مسارات وقصص لا تصدر عن عوام الناس، فكيف من كان لهم اتصال مع السماء.

و- أجر ليعقوب من خاله (لابان):

بعد أن هاجر يعقوب إلى موطن أجداده الأوائل (حاران) (بطرس عبدالملك، وجون السكندر، د. ت : ٢١٢) تزوج من بنات خاله (ليئة ، وراحيل) واثنان من السراري وهن (بهلة ، وزلفة) هذا بعد أن أمضى وقتاً طويلاً في ذلك الموطن، الذي لجأ إليه بعد أن هرب من أخيه (عيسو)، فقرر الرجوع إلى موطنه الذي ولد فيه؛ غير أن خاله طلب منه البقاء؛ لأنه رأى فيه البركة فعرض عليه مغريات كي لا يرحل، وأن يحدد هو بنفسه الأجر الذي يطلبه، فقال يعقوب لخاله: **((فَقَالَ يَعْقُوبُ: «لاَ تُعْطِينِي شَيْئًا. إِنْ صَنَعْتَ لِي هذَا الأَمْرَ أَعُودُ أَرْعَى غَنَمَكَ وَأَحْفَظُهَا: أَجْتَازُ بَيْنَ غَنَمِكَ كُلِّهَا الْيَوْمَ، وَاعْزِلْ أَنْتَ مِنْهَا كُلَّ شَاةٍ رَقْطَاءَ وَبَلْقَاءَ، وَكُلَّ شَاةٍ سَوْدَاءَ بَيْنَ الْخِرْفَانِ، وَبَلْقَاءَ وَرَقْطَاءَ بَيْنَ الْمِعْزَى. فَيَكُونَ مِثْلُ ذلِكَ**

أُجْرَتِي. وَيَشْهَدُ فِيَّ بِرِّي يَوْمَ غَدٍ إِذَا جِئْتَ مِنْ أَجْلِ أُجْرَتِي قُدَّامَكَ. كُلُّ مَا لَيْسَ أَرْقَطَ أَوْ أَبْلَقَ بَيْنَ الْمِعْزَى وَأَسْوَدَ بَيْنَ الْخِرْفَانِ فَهُوَ مَسْرُوقٌ عِنْدِي». فَقَالَ لاَبَانُ: «هُوَذَا لِيَكُنْ بِحَسَبِ كَلاَمِكَ».)) (سفر التكوين ٣٠: ٣١-٣٤).

وبهذا كان أجرة يعقوب مقابل الرعي في أغنام خاله، كل حيوان أرقط وأبلق من الخراف؛ فقام يعقوب التوراتي باستخدام جميع ما تعلمه من مكر لتكون جميع مواليد القطيع من الرقطاء والبلقاء: **((فَأَخَذَ يَعْقُوبُ لِنَفْسِهِ قُضْبَانًا خُضْرًا مِنْ لُبْنَى وَلَوْزٍ وَدُلْبٍ، وَقَشَّرَ فِيهَا خُطُوطًا بِيضًا، كَاشِطًا عَنِ الْبَيَاضِ الَّذِي عَلَى الْقُضْبَانِ. وَأَوْقَفَ الْقُضْبَانَ الَّتِي قَشَّرَهَا فِي الأَجْرَانِ فِي مَسَاقِي الْمَاءِ حَيْثُ كَانَتِ الْغَنَمُ تَجِيءُ لِتَشْرَبَ، تُجَاهَ الْغَنَمِ، لِتَتَوَحَّمَ عِنْدَ مَجِيئِهَا لِتَشْرَبَ. فَتَوَحَّمَتِ الْغَنَمُ عِنْدَ الْقُضْبَانِ، وَوَلَدَتِ الْغَنَمُ مُخَطَّطَاتٍ وَرُقْطًا وَبُلْقًا.)) (سفر التكوين ٣٠ : ٣٧-٣٩).**

فالنص السابق يبين مكر يعقوب التوراتي، الذي لم يحصل فقط على أجرته التي حددها هو بنفسه، لا بل قام بالتحايل ليزيدها، غير أننا لا نسلم لصحة هذا النص الذي تضمن على إسقاطات علمية وعقائدية، فإن طبيعة الخلق تكون على شبه ألوان أصولهم، وأما خلقهم على شبه ما يرون فهذا لا يتصوره أحد من العقلاء، وإلا أتي الأولاد المتولدون في الربيع خضراً كلهم لأنهم يرون الأرض جميعها خضراء وهي أكثر ما يرونه (علاء الدين الباجي، د. ت: ٨٠).

ز- استخدام دمها لخداع يعقوب :

بعد أن أحس إبناء يعقوب بمكانة أخيهم يوسف في قلب أبيهم، وما قصه عليهم من حلم قائلاً لهم: **((ثُمَّ حَلُمَ أَيْضًا حُلْمًا آخَرَ وَقَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ حَلُمْتُ؟ حُلْمًا أَيْضًا، وَإِذَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا سَاجِدَةٌ لِي»))** (سفر التكوين ٣٧ : ٩).

وهذا كان بمثابة نبوءة واضحة لإخوته؛ بأنه سوف يتسلط عليهم، فدفعهم الغيض للتآمر عليه، فاتفقوا على رميه في البئر فجاء على لسان رأوبين (سفر التكوين ٤٢ : ٢٢-٢٤): ((**وَقَالَ لَهُمْ رَأُوبَيْنُ: «لاَ تَسْفِكُوا دَمًا. اِطْرَحُوهُ فِي هذِهِ الْبِئْرِ الَّتِي فِي الْبَرِّيَّةِ وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَدًا». لِكَيْ يُنْقِذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ لِيَرُدَّهُ إِلَى أَبِيهِ. فَكَانَ لَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ أَنَّهُمْ خَلَعُوا عَنْ يُوسُفَ قَمِيصَهُ، الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهِ، وَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ. وَأَمَّا الْبِئْرُ فَكَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ.**)) (تك ٣٧ : ٢٢-٢٤).

ومن ثم أخذوا هذا القميص وغمسوه بدم تيس وأرسلوا هذا القميص الملون إلى يعقوب قائلين: إنا وجدنا قميص ابنك. فكان دم التيس أداة استعملها إخوة يوسف للمكر، غير أن هذا المكر نقل حال بني إسرائيل من حال إلى حال.

ي- ثمناً للزنى المقدس :

يتحدث الإصحاح (٣٨) عن زواج يهوذا (سفر التكوين ٢٩ : ٣٥) من امرأة كنعانية، وقد أنجبت ثلاثة أبناء وهم: (عير، وأونان، وشيله) غير أن التوراة وصفتهم بالمنحرفين، فتقول: ((**وَأَخَذَ يَهُوذَا زَوْجَةً لِعِيرٍ بِكْرِهِ اسْمُهَا ثَامَارُ. وَكَانَ عِيرٌ بِكْرُ يَهُوذَا شِرِّيرًا فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ الرَّبُّ. فَقَالَ يَهُوذَا لأُونَانَ: «ادْخُلْ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيكَ وَتَزَوَّجْ بِهَا، وَأَقِمْ نَسْلًا لأَخِيكَ». فَعَلِمَ أُونَانُ أَنَّ النَّسْلَ لاَ يَكُونُ لَهُ، فَكَانَ إِذْ دَخَلَ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيهِ أَنَّهُ أَفْسَدَ عَلَى الأَرْضِ، لِكَيْ لاَ يُعْطِيَ نَسْلًا لأَخِيهِ. فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَا فَعَلَهُ، فَأَمَاتَهُ أَيْضًا. فَقَالَ يَهُوذَا لِثَامَارَ كَنَّتِهِ: «اقْعُدِي أَرْمَلَةً فِي بَيْتِ أَبِيكِ حَتَّى يَكْبُرَ شِيلَةُ ابْنِي».**)) (سفر التكوين ٣٨ : ٦-١١).

فإن الشريعة الموسوية كانت تجبر أخ المتوفي الزواج بأرملة أخيه الذي مات دون أن يترك نسلاً أن يتزوج أرملته ليقيم له نسلاً حتى لا يمحي ذكر أخيه وكان ينسب الطفل الأول للأخ المتوفي (سفر التثنية: ٢٥: ٥-١٠).

فبعد وفاة ابن يهوذا البكر رفض ابنه الثاني (اونان) أن يقيم نسلاً لأخيه حتى لا يشاركه في الميراث، فساء هذا التصرف في عين الرب فأماته، وهذا دفع يهوذا للتشاؤم، ولكي لا يزوجها ابنه الثالث الذي يدعى (شيلة) ادعى بصغر سنه، وطلب من كنته الذهاب إلى بيت أبيها حتى يكبر ابنه (شيلة).

وبعد أن كبر (شيلة) لم يفِ بوعده، وعندما سمعت (تامار) أن يهوذا قد صعد إلى جزار غنمه قامت: ((**فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَغَطَّتْ بِبُرْقُعٍ وَتَلَفَّفَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبُرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً. فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا. فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ: «هَاتِي أَدْخُلْ عَلَيْكِ». لأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَنَّتُهُ. فَقَالَتْ: «مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ؟» فَقَالَ: «إِنِّي أُرْسِلُ جَدْيَ مِعْزَى مِنَ الْغَنَمِ». فَقَالَتْ: «هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ؟». فَقَالَ: «مَا الرَّهْنُ الَّذِي أُعْطِيكِ؟» فَقَالَتْ: «خَاتِمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ الَّتِي فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَحَبِلَتْ مِنْهُ. ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ وَخَلَعَتْ عَنْهَا بُرْقُعَهَا وَلَبِسَتْ ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا.**)) (سفر التكوين: ٣٨: ١٤-١٩).

ويبرر مفسرو الكتاب المقدس زنى (تامار) بقولهم: أنها كانت حسنة النية في تصرفها؛ لأنها كانت تظن أن عملها هذا يصحح خطأ يهوذا الذي امتنع أن يزوجها (شيلة) لتنجب لزوجها الأول؛ لأنها كانت ترجو أن يأتي من نسلها السيد المسيح (تادرس يعقوب، ١٩٨٣م: ٣١٢).

وذهب البعض أن برفض (شيلة) الزواج منها كان لها الحق أن تتزوج والده، وهذا حسب القانون الإلهي للعشيرة؛ لذلك لجأت إلى الخداع والحيلة (سالا نطواني، ٢٠٠٢م: ٧٩).

غير أن القول لا نجد له أي أثر شرعي من الكتاب المقدس ولعله كان اجتهاد غير أنه مخالف للشريعة الموسوية، كما أن المبرر الأول لمفسري الكتاب المقدس لا يمنع من إقامة الحد عليهما.

ومن يقرأ الكتاب المقدس يتفاجأ كونه عظم عملها هذا وعد تصرفها غاية الحكمة حتى أنهم قالوا مثلاً في ذلك: ((**وَلْيَكُنْ بَيْتُكَ كَبَيْتِ فَارَصَ الَّذِي وَلَدَتْهُ ثَامَارُ لِيَهُوذَا، مِنَ النَّسْلِ الَّذِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ مِنْ هذِهِ الْفَتَاةِ».**)) **(سفر راعوث: ٤: ١٢).**

وبعد أن رجع يهوذا إلى مدينته وأرسل لها الجدي ليفك رهانه ويسترد الخاتم والعمامة والعصا لم يجدها: ((**وَلَمَّا كَانَ نَحْوُ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ، أُخْبِرَ يَهُوذَا وَقِيلَ لَهُ: «قَدْ زَنَتْ ثَامَارُ كَنَّتُكَ، وَهَا هِيَ حُبْلَى أَيْضًا مِنَ الزِّنَا». فَقَالَ يَهُوذَا: «أَخْرِجُوهَا فَتُحْرَقَ» (سفر اللاويين: ٢١: ٩). أَمَّا هِيَ فَلَمَّا أُخْرِجَتْ أَرْسَلَتْ إِلَى حَمِيهَا قَائِلَةً: «مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي هذِهِ لَهُ أَنَا حُبْلَى!» وَقَالَتْ: «حَقِّقْ لِمَنِ الْخَاتِمُ وَالْعِصَابَةُ وَالْعَصَا هذِهِ». فَتَحَقَّقَهَا يَهُوذَا وَقَالَ: «هِيَ أَبَرُّ مِنِّي، لأَنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِشِيلَةَ ابْنِي». فَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُهَا أَيْضًا.**)) **(سفر التكوين: ٣٨: ٢٤-٢٦).**

فكان نتيجة ذلك أنها ولدت توئم وأسمتهم (فارص وزارح) والنص يبين اعتراف يهوذا أنها أبر منه، لأنها أرادت أن تحيي نسلاً لابنه المتوفى بينما قصد هو في هذا الأمر بامتناعه عن تزويجها بابنه الأصغر.

ومن العجيب أن هذه الزانية (تامار) أصبحت جدة السيد المسيح ودمها يجري في عروقه (سلسلة نسب السيد المسيح في إنجيل متى).

وما يستوقفنا على النصوص السابقة هو كأن الزنى كان فعلاً مباحاً لا حياء ولا ستر فيه وهذا ما نلمسه من إرسال (يهوذا) (القدشة) بيد صديقه، غير خائف من الناس أن يعلموا بهذه الخطيئة، بل كان خائفاً أن يقال عنه: لم يعطِ أجرها، وما نرى بهذه القصة إلا تشجيعاً على تلك الخطيئة، كما أننا لا نلمس من ترتيب عقوبة عليه أما كان الأولى أن لا يتكلم عن عقوبتها (الحرق) كونه أتى بنفس الفعل، والأغرب أن العهد الجديد جعل لهذه المخطئة نسلاً جاء منه السيد المسيح.

المبحث الرابع

البقر :

يعد البقر من أعظم نعم الله تعالى، ولأهميته اعتقد القدماء، باستحقاقه التقديس والعبادة، كونه مدار للخير بلا منازع من قبل الحيوانات الأخرى، لذا نرى أن توراة موسى كانت حافلة بالأحداث التي كان لهذا الحيوان جزءاً واسعاً لمسار القصص الاجتماعية والعقائدية ومنها:-

أ- كان غذاء للضيوف وإظهار الكرم:

وهنا كان أول حديث عن هذا المخلوق، كان غذاءً لضيوف إبراهيم، فجاء في الإصحاح الثامن عشر الحديث عن كرم إبراهيم لضيوفه الثلاثة الذين قدموا عليه فتقول التوراة: « فأسرع إبراهيم إلى سارة في الخيمة وقال لها، أعجني في الحال ثلاثة أكيال من الدقيق الأبيض واخبزيها أرغفة، واندفع إبراهيم نحو البقر، فأخذ عجلاً رخصاً مسمناً إلى الخادم، فأسرع في تهيئته » (سفر التكوين ١٨ : ٦-٧).

وقد شكل النص علينا أمر هذا الطعام المقدم للضيوف، ولاسيما ونحن نربط هذه الآيات بما سبقها من نص توراتي، والإشكال يكمن في بيان من هم هؤلاء الضيوف، أهم من البشر، فإن كانوا كذلك. فإن الحديث سيصرفنا عن كرم هذا الرجل،

إلا أن ضيوفه كانوا ثلاثة وهم (يهوه) (كامل سعفان : ١٦٧) بنفسه وهو يصطحب اثنان من الملائكة (سفر التكوين ١٨ : ١)، وقد جاء في التفاسير قولهم: « بالحب قدم سارة وإبراهيم أفضل ما لديهما للرب، وبالحب تنازل الرب ليقبل من الإنسان العطية » (من تفسير تأملات الأدباء الأولين: ١٨٧).

وقد حضروا بصورة بشر، وتناولوا الطعام فجاء في النص: « فأكلوا وهو واقف أمامهم تحت الشجرة » (سفر الخلائق ١١٦ -١٤٣).

وهذا ما دفع مفسرو توراة اليهود للقول أن الأكل كان خيالاً، في وقت استغل الإنجيليون النص القول: بالتجسيم قائلين: إنه أكل وشرب، لا لأنه محتاج إلى ذلك لا بل ليحقق للعالم أنه متجسد بالفعل لا بالخيال (سفر التكوين ١٨ : ٨) – تعالى الله عما يقولون –

فهذا الحيوان في ظهوره الأول، كان سبباً في إبراز صفة التجسيم لإله أهل الكتاب، لفتح باب أخر في مسار العقيدة والحديث عن أنه أرسل (ابنه) – تعالى الله عما يقولون – الذي جمع اللاهوت والناسوت به (منيس عبدالنور: ٣١: ٦-١٢). ليتقبل الشارع ذلك بعد أن يغز بهم عقيدة التجسيم. ليس هذا فحسب بل حتى العدد ثلاثة عدد الضيوف وظفوه إلى عقيدة تثليث (العقائد المسيحية: ٦) الأقانيم في اللاهوت.

ب- إله بني إسرائيل :

ولعل هذا المخلوق، لم يكتفِ بما سببه في ظهوره الأول في أسفار موسى من شبهه أشكلت أمرها على المفسرين والمتلقين استساغتها، نرى هنا في ظهوره الثاني لم يكن بالمخلوق الضعيف الذي يذبح ويؤكل، لا بل إنه مخلوق مجسم تقدم له القرابين والنذور فهو صورة لإله معبود.

فنقرأ في سفر التكوين عن غياب موسى لموعد وعده الله إياه، وكانت مدته أربعين يوماً (سفر الخروج الإصحاح : ٣٢). فكانت هذه المدة كافية لارتداد بني إسرائيل عن دين موسى، وهذا يكشف عقيدتهم وإيمانهم المتزعزع، فقد طلبوا أثناء هذه المدة أن يصنع لهم (هارون) التوراتي، صناعة إله منظور ليعبدوه فقال لهم هارون: « انزعوا حلق الذهب التي في أذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وجيئوني بها، فنزع الشعب حلق الذهب التي في أذان نسائهم وجاءوا بها إلى هارون، فأخذها من أيديهم وأذابها وسكبها في صنم على صورة عجل، فقال الشعب: هذه آلهتكم يا بني إسرائيل، آلهتكم التي أخرجتكم من أرض مصر، فلما رأى هارون ذلك بنى أمام الصنم مذبحاً ونادى وقال: غداً عيد الرب » (سفر الخروج ٣٢ : ٥).

فصنعوا لهم إله على صورة (ابيس) (عبدالعزيز صالح، مكتبة دار الزمان: ٣٢٥) العجل المقدس عند المصريين. ولنا وقفات عدة على ما حمله النص التوراتي، كيف يمكن أن نتصور، أن هارون صانع المعجزات المؤيد من الله ليكون سنداً لأخيه موسى، نجده لا يعرف من هو إلهه، فالنص السابق أظهره بهذه الصورة السيئة.

وهنا نسأل: لماذا اصطفته التوراة فضلاً عن اصطفاء ذريته وقد أعطاهم الله جميع رفائع قدس الأقداس؟ (برانيين ٩ : ٢).

فضلاً أن متتبع نصوص التوراة يرى التناقض بين ما جاء في النص التوراتي السابق الذي يتحدث عن صناعة هارون التوراة مع ما جاء في سفر التثنية (سفر التثنية ١٩ : ١٢). وجاء به قول الرب لموسى: « صنعوا لهم تمثالاً مسبوكاً ».

وهنا نسأل مفسرو التوراة: من صنع العجل؟! أهارون هو من صنعه أم الشعب – شعب بني إسرائيل– ؟ فأي النصين أصدق؟ فهذا التعارض لا يرفع إلا بالتسليم بكذب أحدهما، والراجح أن النص الأول مفترى فكيف يصطفي (يهوه) من يعبد العجل ويأمر بني إسرائيل بعبادته لا بل ببناء المذبح له ؟

المبحث الخامس

الحمير والجمال :

الحمير: الحمار: هو حيوان من جنس الحصان، وهو حيوان أليف يوجد نوع منه يعيش بصورة برية يسمى بالحمار الوحشي، وهو الرفيق الدائم للإنسان حامل المشقة، ويسمى صغير الحمار جحش، وقد تعرض الحمار لشتى صنوف الاضطهاد والتعذيب على مر العصور، رغم أنه حيوان مسالم خدوم لا يعتدي على أحد، وله من الوفاء بحيث لا يتخلى عن أصحابه بسهولة، وكثيراً ما بيعت الحمير ثم عادت إلى أصحابها سيراً على الأقدام.

وعند قراءتنا لأول ظهور لهذا الحيوان، يكاد يقتصر على كونه واسطة للنقل استفاد منها إخوة يوسف حين ذهبوا من أرض كنعان إلى أرض مصر للحصول على القمح بعد أن حل بالأرض الجفاف ونقص الغذاء.

وكان هذا الحيوان شاهداً أو حاملاً للفضة التي أرجعها يوسف إلى إخوته جون علمهم، فجاء في سفر التكوين: ((**ثُمَّ أَمَرَ يُوسُفُ أَنْ تُمْلأَ أَوْعِيَتُهُمْ قَمْحًا، وَتُرَدَّ فِضَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَى عِدْلِهِ، وَأَنْ يُعْطَوْا زَادًا لِلطَّرِيقِ. فَفُعِلَ لَهُمْ هكَذَا. فَحَمَلُوا قَمْحَهُمْ عَلَى حَمِيرِهِمْ وَمَضَوْا مِنْ هُنَاكَ.**)) (سفر التكوين ٤٢ : ٢٥-٢٦).

وقد علم بذلك إخوته وهم في طريق العودة، حين فتح أحدهم عدله ليعطي علفاً لحماره، فوجد الفضة في فم عدله، وأما إخوته الباقين فعلموا بعد أن رجعوا إلى أرض كنعان (سفر التكوين ٤٢ : ٢٧-٣٥)، غير أن ذلك جلب لقلوبهم وقلب يعقوب الخوف، وهذا ما حدث في اللقاء الأول. أما في اللقاء الثاني، فقد حملت القمح، فضلاً عن أن حمار (بنيامين) (سفر التكوين ٣٥ : ١٨) كان يحمل كأس الملك التي وضعها عمال يوسف؛ ليستطيع بهذه الطريقة أن يبقيه عنده حتى يكون ذلك سبباً لمجيء يعقوب إلى مصر (سفر التكوين : ٤٤).

وكانت تلك الحادثة سبباً لاعترافه لهم بأنه يوسف فـ « أرسل إلى أبيه أيضاً عشرة حمير محملة من خير ما في مصر » (سفر التكوين ٤٥ : ٢٣).

كما أننا نقرأ أن هذا (الحيوان) كان ثمناً لشراء القمح حين طبق يوسف خطته الزراعية (سفر التكوين ٤٧ : ١٧).

وما يستوقفنا هنا، لماذا لم يستخدم أبناء يعقوب الجمال للتنقل، هل هذا دليل أنهم لم يكونوا أهل بدو أم للدلالة على فقرهم، أم لقوة تحمل هذا الحيوان؟ وهذا ما لمسناه في وصف (التوراة) لإسماعيل: « يكون رجلاً كحمار الوحش » (سفر التكوين ١٦ : ١٢) (سفر أيوب ٣٩ : ٥-٨).

الجمال: هي حيوانات كبيرة ذات رقبة طويلة وحدبة أو سنام واحد أو اثنين على ظهرها، وتمتاز بلونها البني الكريمي الذي يتدرج إلى اللون البني الداكن، ويعد حيواناً صحراوياً؛ لأنه مصمم للبقاء في ظروف صحراوية قاسية يتحمل العطش لأكثر من أسبوع، ويستطيع المشي في العواصف الترابية، والبقاء دون طعام لعدة أشهر بسبب الماء والطاقة المخزونة في سنامه.

وكان أول ظهور لهذا الحيوان بأعداده (العشر) حين بعث إبراهيم خادمه ووكيل أعماله، واستحلفه قائلاً: ((**ضَعْ يَدَكَ تَحْتَ فَخْذِي**)) (سفر التكوين ٢٤ : ٢). بأن يأتي بعروس لابنه إسحاق من عشيرته في أرض (ناحور) (ناحور حاران ١١ : ٣١)، فأخذ الخادم عشرة جمال من جمال إبراهيم وسارة متوجهاً إلى آرام النهرين مدينة ناحور، وعلى تلك الجمال عاد بزوجة لأسحق واسمها (رفقة) (سفر التكوين ٢٤: ١٥)، فنقرأ في كتاب التوراة: ((**وَكَانَ إِسْحَاقُ قَدْ أَتَى مِنْ وُرُودِ بِئْرِ لَحَيْ رُئِي (سفر التكوين: ١٦: ١٣-١٤)، إِذْ كَانَ سَاكِنًا فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ. وَخَرَجَ إِسْحَاقُ لِيَتَأَمَّلَ فِي الْحَقْلِ عِنْدَ إِقْبَالِ الْمَسَاءِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا جِمَالٌ مُقْبِلَةٌ. وَرَفَعَتْ رِفْقَةُ عَيْنَيْهَا فَرَأَتْ**

إِسْحَاقَ فَنَزَلَتْ عَنِ الْجَمَلِ. وَقَالَتْ لِلْعَبْدِ: «مَنْ هذَا الرَّجُلُ الْمَاشِي فِي الْحَقْلِ لِلِقَائِنَا؟» فَقَالَ الْعَبْدُ: «هُوَ سَيِّدِي». فَأَخَذَتِ الْبُرْقُعَ وَتَغَطَّتْ.)) (سفر التكوين ٢٤ : ٦٢-٦٥). فكان هذا الحيوان وسيلة للتنقل، شأنها كشأن الحمير، وما لاحظناه أن بني إسرائيل لم تستخدم الخيول للتنقل، أما لجهلهم بطبيعتها أو أنها وجدت البديل الذي يتلاءم مع حياتهم.

الخاتمة :

وبعد عرضنا لأبرز الحيوانات في سفر التكوين توصلنا إلى ما يلي:-

١- أبرز الحيوانات في سفر التكوين هي (الحية) ذلك الحيوان الذي لعب دوراً في قلب نظام الإنسان بعد أن أخرجتهما من الجنة إلى الأرض بسبب إغواءها لآدم وحواء بالأكل من الشجرة التي منعهما الرب من الاقتراب منها.

٢- عاقب الرب كلاً من الحية وآدم وحواء عقاباً شديداً بسبب مخالفة كلامه، فكان عقاب الحية أن تزحف على بطنها وتأكل التراب ولعنها من بين جميع البهائم ووحوش البر.

٣- من الحيوانات الأخرى التي ذكرت في التوراة الغراب ذلك الطائر الذي كان دليل النبي نوح عليه السلام وهو في الفلك لاكتشاف حال الأرض بعد الفيضان، لكن ذلك الحيوان لم يقدم له المعونة، بل تركه وأكل من الجيف، فلم يكن له دور إيجابي هنا ليأتي دور الحمامة.

٤- لعبت الحمامة دوراً بارزاً في مساعدة النبي نوح ومن كان معه في السفينة، حين بعثها ليعلم حال الأرض جراء الفيضان فبعثها أكثر من مرة حيث جاءت له بالبشرى بجفاف الأرض واستقرار الحياة وهي تحمل غصناً أخضر، وقد فضل الإنسان الحمامة عن غيرها لما كان لها من صفات قريبة جداً من الإنسان.

٥- من الحيوانات الحاضرة في قصص التوراة الماعز والأغنام، فقد كان لهما دوراً بارزاً في قصص التوراة فكانت حاضرة في قصص قربان قابيل وهابيل، فكانت مادة هابيل التي قدمها قرباناً للرب، وكانت في موضع آخر من التوراة تمثل افتراق الأب الأول إبرام التوراتي عن ابن أخيه، ونراها في موضع آخر فداء لابن إبراهيم من الذبح، كما كانت شاهدة على عهد إبراهيم مع (ابيمالك)، كما كانت سبباً في سرقة البكورية عندما قدمت طعاماً لإسحاق، وكانت في موضع آخر أجراً ليعقوب من خاله (لابان)، واستخدمت في موضع آخر خداعاً ليعقوب بموت يوسف، وتراها في موضع أخير ثمناً للزنى المقدس.

٦- البقر كانت من أعظم نعم الله عليهم، ودخلت في قصص عدة منها أنها كانت غداء للضيوف وإظهار الكرم لضيوف إبراهيم الثلاثة، وكان ظهور هذا الحيوان في تلك القصة سبباً في إبراز صفة التجسيم لإله أهل الكتاب بعد الأكل منه، ظهر كأنه معبود لبني إسرائيل عند غياب موسى.

٧- ومن الحيوانات التي ذكرت أيضاً في قصص التوراة الحمير الذي كان يوصف للقوة، فقد وصف إسماعيل في التوراة بالقول: (يكون رجلاً كحمار الوحش) دلالة على قوته.

٨- كان أول ظهور للجمال في قصص التوراة هو ظهوره بأعداده (العشر)، حين بعث إبراهيم خادمه وكيل أعماله، واستحلفه قائلاً: « ضع يدك تحت فخذي » ليأتي بعروس لابنه أسحق، فضلاً عن كونه وسيلة للتنقل.

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب المقدسة

- إنجيل لوقا.
- إنجيل متى.
- إنجيل يوحنا.
- حياة الحيوان.
- رؤيا حنا.
- سفر الإصحاح.
- سفر التثنية.
- سفر التكوين.
- سفر الخروج.
- سفر اللاويين.
- سفر المزامير.
- سفر أيوب.
- سفر راعوث.
- شروح الكتاب المقدس.

ثانياً : الكتب العربية والمعربة

- إسكندر الجديد، (١٩٩٤م): ***ركن الإيمان***، ط١، نداء الرجاء، الأردن.
- بطرس عبدالملك، د. جون السكندر، (د. ت): ***قاموس الكتاب المقدس***.
- ***التفسير التطبيقي***، (د. ت): تعريب ماستر ميديا، القاهرة، مصر.
- الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان، (١٤٢٤هـ): ***الحيوان***، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢.

- حبيب جرجيس، (د. ت): ***الكنز الأنفس وملخص الكتاب والتاريخ المقدس***، ط٣.
- د. أحمد على عجيبة، (٢٠٠٥): ***تأثر المسيحية بالأديان الوضعية***، دار الآفاق، القاهرة.
- د. القس منيس عبدالنور، (د. ت): ***إبراهيم خليل الله***.
- د. كامل سعفان، (د. ت): ***تاريخ وعقيدة اليهود***، دار الاعتصام،.
- ***شروح الكتاب المقدس***، (١٩٩٣م): جمعية الكتاب المقدس، لبنان.
- عبدالعزيز صالح، (د. ت): ***الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق***، مكتبة دار الزمان.
- علاء الدين الباجي (٧١٤هـ)، ***نقد التوراة اليونانية***، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار بيبلون، باريس.
- القس برضوفير سالا نطواني (٢٠٠٢م): ***حوادث الكتاب المقدس وظهور الملائكة***.
- القس تادرس يعقوب، (١٩٨٣م): ***تأملات الأدباء الأولين***.
- القس جيمس أنس، (د. ت): ***علم اللاهوت النظامي***، راجعه ونقحه وأضاف إليه القس منيس عبدالنور.
- القس وليم مارش، (١٩٧٣م): ***السنن القويم في أسفار العهد القديم- شرح سفر التكوين***، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت،.
- ***الكتاب المقدس***، (١٩٩٣م): ط أولى، جمعية الكتاب المقدس في لبنان.
- مكرم مشرقي، (٢٠٠٠م): ***جمان من فضة***، ط١، مكتبة الأخوة، مصر.